العولمـــــــة

(المفهوم – النشأة – الأبعاد)

دكتورة / مريم خليفة المبروك

جامعة سرت – كلية الآداب – قسم الفلسفة

2020م

المقدمـــــة

العولمة ظاهرة قديمة اتخذت أبعاداً جديدة، واكتسبت مضامين حديثة ، وقد ذاع استخدام مصطلح العولمة وانتشر على نطاق واسع منذ بداية تسعينيات القرن العشرين ، تحديداً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي واستفراد أمريكيا بالقوة والهيمنة على دول العالم .

ارتبطت العولمة في أولى خطواتها بعالم الاقتصاد والمال ، إلا أن الأمر لم ينحصر في الاقتصادات المعولمة ، بل امتد وبسرعة العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، وفي انتقال رؤوس الأموال ، وفي انتشار المعلومات والأفكار، وأيضاً طالت ثقافات الشعوب وعاداتها وتقاليدها التي كانت إلى عهد قريب بمثابة عوالم تكتنفها الخصوصية والقداسة ، وبهذا ارتبطت العولمة بكافة المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية العميقة والمتنامية التي يشهدها عالمنا المعاصر.

ومن هنا تأتي **أهمية دراسة ظاهرة العولمة** التي لا تزال تطرح أسئلتها وتحدياتها بشدة على العالم، وبالتحديد على المجتمعات والدول التي ليست في عداد قواها، والتي تجد نفسها ضعيفة الممانعة لأحكامها القهرية، مثل مجتمعات دول الجنوب ، ومنها مجتمعنا العربي الإسلامي، الذي فرضت عليه تحديات يتحتم عليه أن يواجهها بسرعة وفعالية لكي يلحق بركب قطار العولمة .

أما الهدف من دراسة ظاهرة العولمة: تسليط الضوء على بيان مفهوم العولمة في الخطابين العربي والغربي ، وبيان الفارق في رؤية كل منهما لمفهوم العولمة ، وأيضاً دراسة أبعادها ونشأتها التاريخية ، والتأكيد على أن العولمة ظاهرة تاريخية قديمة ، على الرغم من حداثة المصطلح.

أما عن مشكلة الدراسة: فإنها تدور حول التساؤلات التالية: ما مفهوم العولمة؟ ، وما هي أبعادها ونشأتها؟ ، وما هي أهم المفاهيم المرتبطة بمصطلح العولمة؟ ، وغيرها من التساؤلات التي سنجيب عليها من خلال هذه الدراسة.

أما المنهج المستخدم **هو المنهج التحليلي** النقدي الذي يقوم على تحليل ونقد كافة الآراء المتصلة بالموضوع ، مع الالتزام التام بالموضوعية ،باعتبارها شرط أساسي للدراسة العلمية.

خطـــة البحـــث: وتتضمن المحاور والعناصر التالية:-

أولاً: مفهوم العولمة في اللغة والاصطلاح.

1- العولمة من المنظور اللغوي.

2- العولمة من منظور اصطلاحي:-

ثانياً: إشكالية علاقة مفهوم العولمة بغيره من المفاهيم

1- العولمة والعالمية.

2- العولمة والأمركة.

3- العولمة والنظام العالمي الجديد.

ثالثاً: أبعاد مفهوم العولمة

رابعاً: النشأة التاريخية للعولمة في الفكر الإنساني(القديم -الوسيط -الحديث -المعاصر)

الخاتمة: وتضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث.

أولاً : مفهوم العولمة في اللغة والاصطلاح :

1- العولمة من المنظور اللغوي :

تتفق أقدم المعاجم العربية بشأن إرجاع الكلمة إلى أصولها الأولى وهي كلمة (العالم) التي اشتق منها مصطلح (العولمة) ، فيحدد ابن منظور في لسان العرب كلمة (العالم) بأنها تعني : " العالمون : أصناف الخلق ، والعالم : الخلق كله ، وقيل هو ما احتواه بطن الفلك ، وقيل : جمع العالم الخلق العوالم ، وفي التنزيل : الحمد لله رب العالمين ، ومعنى العالمين كل ما خلق الله ، وهو جمع عالم "[1] ، وجاء في معجم منجد الطلاب : " العالم : الخلق كله ، والجمع عوالم وعالمون وعلالم "[2] ، كما ورد في معجم المصطلحات الفلسفية : " عالم world monde ، ويجمع العالم على عوالم ، ويمكن أن نشتق منه فعل (عَوْلَمَ) بإزاء mondialiser أو universaliser "[3] ، وجاء أيضاً في القواميس العربية الجديدة : " عالم : الخلق كله "[4] ، أو " عالم : الكرة الأرضية "[5] ، كما نصت معاجم تصريف الأفعال على إيراد فعل " (عولم) على صيغة (فوعل) ، اشتقاقاً من الفعل الثلاثي (ع ل م)"[6] .

---

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، مج 12 ، ط6 (بيروت ، دار صادر ، 1997م) ص 420 .

[2]- فؤاد أفرام البستاني : منجد الطلاب ، ط12 (بيروت ، دار الشرق ، 1986م) ص 310 .

[3]- خليل أحمد خليل : معجم المصطلحات الفلسفية ، ط1 ، (بيروت ، دار الفكر اللبناني، 1995م) ، ص120 .

[4]- أنطوان إلياس : القاموس العصري (عربي – انجليزي) ، ط9 (القاهرة ، المطبعة العصرية ، 1954م) ص454 .

[5]- رجب أبو دبوس : القاموس سياسي ، ط1 (ليبيا ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، 1425 ميلادية) ص209 .

6- أنطوان ، الدحداح : معجم تصريف الأفعال ، ب ط (بيروت ، مكتبة لبنان ، 1991م) ، ص 150 .

أما **ناصر الدين الأسد** فيرى أن " الصياغة اللفظية لعولم (الفعل) وعولمة (المصدر) تقتضي فاعلاً ومفعولاً به ، فالعولمة من عمل الفاعل المعولم (بكسر اللام) الذي يمارسه على المعولم (بفتح اللام) بإرادة وتصميم من الأول ، وعلى الثاني أن يقبلها جملة وتفصيلاً ، راضياً أو مكرهاً"[7] .

فالعولمة إذن لا تتم بطريقة تلقائية عفوية ، وإنما تتم بطريقة مقصودة مدروسة .

أما العولمة في المصادر الأجنبية فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية globalization المشتقة من (globe) ، التي تعني كرة أو الكرة الأرضية .

وقد وردت كلمة عولمة في معجم أكسفورد بعدة مفاهيم منها :

1- "global noun (1) an object shaped like a ball, especially one[8] with a map of the earth on it ".

2- " the world ,travelled all over the globe"[9] .

وتعني بالعربية (العالم) وهنا تتفق مع المعاجم والقواميس العربية ، كما تورد المعاجم الفرنسية بالمعنى السابق نفسه :

" mondialization : fait de devenir mondial, de se mondializer "[10]

7- عبد الهادي أبو طالب : العالم ليس سلعة ، ب ط (المملكة المغربية ، الرباط ، 2001م)،ص 28 – 29 .

8 – elaine pollard (ed) , the oxford paperback dictionary, oxford unive. K sity, London, 1994, p. 338 .

9 – ibid, p332.

10- مراد محفوظ : العولمة وضرورة التكامل الاقتصادي العربي ، ب ط (المنظمة العالمية للثقافة والعلوم ، دار الكتب الوطنية ، 1999م) ، ص 225 .

وتعني بالعربية أن يصبح الشيء على مستوى عالمي ، أي عالمياً ، إذن لا يوجد خلاف حول مصدر الكلمة ، سواء في اللغة العربية أم في المصادر الأجنبية ، فكلاهما يشيران إلى معنى واحد ، فالعولمة في اللغة العربية يرجع مصدرها إلى كلمة العالم ، وهي كذلك في اللغة الإنجليزية ، إذ تعني globe ، وفي الفرنسية ومعناها monde أي العالم .

كما أن مصطلح (العولمة) هو أحد ثلاثة مصطلحات عربية طرحت ترجمة للكلمة الإنجليزية globalization والمصطلحان الآخران هما : (الكوكب) و (الكونية) ، فقد استخدم السيد يسن مصطلح الكونية ، مفضلاً إياه على كلمة العولمة ، على الرغم من أنه يستخدم العولمة بين الحين والآخر ، وقد قمت بتحليل كلمة الكونية univeraality وإرجاعها إلى أصولها اللغوية ، وهي (الكون) ، فقد أوردت جل المعاجم والقواميس كلمة (الكون) على أنها " الوجود المطلق العام"[11] .

فالكونية تعني تجاوز العالم والخلق البشري الذي نعيش فيه إلى ما هو غير بشري ، أي عالم الفضاء المطلق ، الذي ليس له نهاية محددة ، من هنا فإنني أرفض مصطلح الكونية كترجمة لكلمة (globalization) وأفضل استعمال مصطلح العولمة ، لأنه أكثر ارتباطاً بالعالم وبالبشر .

كذلك الحال مع كلمة (كوكبة) فقد رفض **إسماعيل صبري عبدالله** رفضاً قاطعاً مصطلح (العولمة) وفضل استخدام (الكوكبية) ، وعند تحليل الكوكبية وإرجاعها إلى مصدرها اللغوي (كوكبة) وجدنا أنها تعني " كوكبة هي الجماعة من الناس ، النجم ، الزهرة "[12] ، وقد تكون الكوكبة أكثر ارتباطاً بكوكب الأرض والإنسان ، وأقل شمولية من (الكونية) إلا أنني أفضل استخدام العولمة .

11- علي بن هادية وبلحسن البليشي وآخرون ، القاموس الجديد للطلاب ، تقديم : محمد المسعدي ، ب ط (تونس، الشركة التونسية للتوزيع ، 1988م) ص 925 .

12 - المصدر السابق ، ص 924 .

2- العولمة من منظور اصطلاحي :

إن الخطاب التعريفي لمفهوم العولمة هو خطاب ذو بنية تحليلية ، تختلف عن المدلول اللغوي للعولمة بصفته المعجمية ، وقد تصدى لتحليل العولمة وتعريفها نخبة من مفكري العرب والغرب .

أ- العولمة في الخطاب العربي :

تصدى لتعريف العولمة عدد من المفكرين العرب ، من بينهم **جلال أمين** الذي يعتقد أن ظاهرة العولمة ليست حديثة ، وإن شاع استخدامها كمصطلح في السنوات الأخيرة ، وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ، وإنما هي ظاهرة قديمة تعتمد عناصرها الأساسية على " ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم ، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال ، أو في انتشار المعلومات والأفكار أو في تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم "[13] .

ويرى **جلال أمين** أن كل هذه العناصر عرفها العالم منذ خمسة قرون ، أي منذ بداية الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر .

ومع أن الباحثة ترى أن تعريف **جلال أمين** للعولمة ينطوي على قدر كبير من الوضوح، وأنه تعريف بعيد عن أي تعصب إيديولوجي ، إلا أنها لا توافقه على أن عمر ظاهرة العولمة لا يزيد على خمسة قرون ، وذلك لأن انتشار الأفكار والأموال وتأثر الأمم بعضها ببعض أمور عرفها التاريخ منذ القدم ، حين كانت حضارة ما تصدر باقي الحضارات الأخرى ، وتقود العالم ، كما حدث مع حضارات الشرق القديم والحضارة الإغريقية والحضارة الإسلامية .

13- جلال أمين : العولمة والدولة (ندوة العرب والعولمة) ، ط1 (بيروت ، مركز درسات الوحدة العربية ، 1998) ، ص 153 .

أما **برهان غليون** فيعرف العولمة بأنها " تعني خضوع البشرية لتأريخية واحدة ، فهذا يعني أنها تجري في مكانية ثقافية واجتماعية وسياسية موحدة أو في طريقها إلى التوحيد ، يمكن تلخيصها في كلمتين : كثافة انتقال المعلومات وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر بأننا نعيش في عالم واحد وموحد "[14] ، ويضيف **برهان غليون** أن العولمة ترتكز على إدماج ثلاثة منظومات رئيسية في حياتنا الاجتماعية هي : المنظومة المالية ، وتتمثل في إطار سوق واحد لرأس المال، والمنظومة الإعلامية الاتصالية ، التي تربط سكان العالم مع بعضهم البعض ، من خلال الصحون الهوائية المرتبطة بالقنوات الفضائية ، والمنظومة المعلوماتية التي تجسدها شبكة الإنترنت التي يشارك فيها جميع الأفراد بغض النظر عن الحدود السياسية والخصوصيات الثقافية[15] ، ويتنبأ **برهان غليون** بأن العالم سيتحول إلى قرية كونية واحدة ، تذوب فيها الحدود المكانية والزمانية عن طريق الإنترنت والصحون الفضائية ، وقد سبقه إلى هذا التنبؤ عالم الاتصال **مارشال ماكلوهان** ، إلا أن الباحثة لا توافق برهان غليون على أمرين : أولهما كلمة الخضوع التي تعني الخنوع ، وكأن العولمة شيء قاهر مفروض على الجميع ، وعليهم الخضوع له ، شاؤوا أم أبوا ، وهذا يسيء إلى العولمة كظاهرة لها من الإيجابيات مثل ما لها من السلبيات، وثانيهما تنبؤه بأن العالم سيكون قرية موحدة الخصائص الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، فهذا شيء مرفوض من وجهة نظري ، لأن العالم سيتحول إلى نسخة كربونية واحدة ، وينتفي التعدد والاختلاف ، وهذا مستحيل ، لأن العالم قائم على التعدد والاختلاف ، وهذا هو الوضع الطبيعي ، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ، وقد أشار الله – جل جلاله – إلى

14- برهان غليون وسمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، ط2 ، (بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 2002)، ص 20 .
15- المرجع السابق ، ص 16 – 17 .

أهمية الاختلاف بين البشر في قوله تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾[16] .

ويتفق **إسماعيل صبري عبد الله** ، إلى حد ما مع **برهان غليون** في رؤيته للعولمة ، حيث يعرف (الكوكبة) أي العولمة بأنها " التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك ، دون اعتداء يذكر بالحدود السياسية للدولة ذات السيادة ، أو الانتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ، ودون الحاجة إلى إجراءات حكومة "[17] ، ويتنبأ إسماعيل صبري بانتهاء سلطة الدولة الوطنية والقومية معاً .

أما **محمد عابد الجابري** فيقدم لنا تعريفين اثنين للعولمة هما : معناها اللغوي " تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله "[18] . ومعناها الاصطلاحي تعني " نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد ، العولمة الآن نظام عالمي ، أو يراد لها أن تكون كذلك ، يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال ... إلخ "[19] ، كما تشمل أيضاً المجال السياسي " منظوراً إليه من زاوية الجغرافية (الجيوبوليتيك) ، وتعني العمل على تعميم نمط حضاري ، يخص بلداً بعينه ،هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات ، على بلدان العالم أجمع "[20] ويضيف الجابري أن العولمة هي أيضاً " إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته "[21] .

16- سورة الروم ، الآية 21 .
17- إسماعيل صبري عبد الله : " الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية " ، مجلة الطريق ، بيروت ، ع4 ، آب (أغسطس) 1997م ، ص45 .
18- محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية ، ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص 300 .
19- المرجع السابق ، ص 300 .
20- المرجع السابق ، ص 300 .
21- المرجع السابق ، ص 300 .

وقد تعددت لدى **الجابري** أوجه العولمة ، فتارة يرى أنها نظام أو نسق ، وتارة يحصرها في معتقد فكري إيديولوجي ، وتارة أخرى يشير إلى أنها (أمركة) ، إلا أنني أرى أن العولمة ظاهرة أشمل من أن تحصر في نسق أو نظام أو مذهب سياسي ، وبالرغم من أن الجابري قد أصاب كبد الحقيقة في تحليلاته لمفهوم العولمة ، إلا أن تخوفه المزعوم من (العولمة) لا مبرر له ، فالعولمة ليست شراً مطلقاً ، وإنما هي سلاح ذو حدين ، لها إيجابياتها ولها سلبياتها .

ويتفق **عبد الإله بلقزيز** مع **الجابري** على أن العولمة تمثل إرادة الهيمنة الرأسمالية الأمريكية ، فيقول : " العولمة هي الدرجة العليا في علاقات الهيمنة / التبعية الإمبريالية ، وهي لحظة التتويج لانتصار النظام الرأسمالي العالمي كونياً ، الذي خرج من رحم الدولة الوطنية ، وما برحت هذه تعيد إنتاجه ، داخل حدودها وخارجها على السواء "[22] .

ويتفق أغلب منظري العولمة من المفكرين العرب على أنها تمثل أعلى درجة وصل إليها تطور الرأسمالي ، فالعولمة عند صادق **جلال العظم** هي : " وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول ، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها "[23] .

ما يذهب إليه **صادق العظم** هو أن العولمة تعني بداية الإنتاج وعلاقاته الرأسمالية ونشرها في كل مكان ، أي خارج مجتمعات المركز الأصلي ودوله ، وهذا يعني رسملة العالم على مستوى العمق ، بعد أن كانت رسملته على مستوى السطح ، ويشير العظم ، في هذا الصدد ، إلى تعريف أعم وأشمل للعولمة هو

22- عبد الإله بلقزيز : عولمة الثقافة وثقافة العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص 310 .

23- حسن حنفي وصادق جلال العظم ، ما العولمة، ط 2 (بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 2002م) ، ص136 .

أنها " حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء ، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها ، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ "[24] .

ويشاطر **سمير أمين صادق العظم** الرأي في أن العولمة ليست ظاهرة حديثة في تاريخ الرأسمالية ، وأنها خلال العقدين الأخيرين ، ولا تخص ظاهرة العولمة وتعمقها التبادل التجاري فقط ، بل " أخذت النظم الإنتاجية المتمركزة على الذات ، حتى تاريخ قريب ، في التفكك لصالح إعادة تكوين منظومة إنتاجية مندمجة عالمياً ، كذلك أخذ تقسيم العمل بين المراكز والأطراف في التغير من حيث الكيف ، كناتج تصنيع العالم الثالث ، واختراقه الأسواق العالمية "[25] .

كذلك يتفق معهما **محمد الأطرش** في أن العولمة تعني " وبشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة ، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق ، وتالياً خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية ، وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة ، وإن العنصر الأساس في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات "[26] .

وترى الباحثة أن رؤية كل من **صادق العظم وسمير أمين** ، ومحمد الأطرش للعولمة هي رؤية اقتصادية بحتة ، وأنهم لم يأخذوا في الاعتبار الجوانب الثقافية والاجتماعية الأخرى ، فضلاً عن أن تعريفهم للعولمة بأنها أعلى مرحلة لتطور النظام الرأسمالي ، يفترض أن النظام الرأسمالي هو نهاية الكون ، وأن على الجميع القبول بالنموذج الرأسمالي وإقصاء بقية النماذج الاقتصادية الأخرى .

24- المرجع السابق ، ص 136 .

25- برهان غليون وسمير أمين ، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مرجع سابق ، ص 72.

26- محمد الأطرش ، العرب والعولمة ، ما العمل؟ ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص 412 .

ويعرف **السيد يس** العولمة بأنها " سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على نطاق كوني "[27] ، ويتفق **سيار الجميل** مع **السيد يس** في تسمية العولمة بالكونية ، ولكنه يختلف معه في مضمون العولمة ، أو كما يسميانها الكونية ، فيقول : " هي ظاهرة كونية مزدوجة تتعامل بين الشمال والجنوب ، كقوة مسيطرة في تفكيك الصيغ المألوفة ، وإعادة تركيبها من جديد، على أسس غير مألوفة البتة ، فتخلق بذلك روابط وأنساق جديدة ، تتجاوز حدود الدول والمجتمعات والمعاني والأنماط والسياقات ، كي تشكل كما تدعى النسق العالمي ضمن هياكل جديدة "[28] .

وترى الباحثة أن **سيار الجميل** يتفق مع أغلبية المفكرين العرب في عدائيتهم الاختزالية للعولمة ، وتصويرها بأنها قوة مهيمنة ، تفرض وجودها على الآخر الضعيف ، وتعتقد أن هذه العدائية المفرطة للعولمة ، والوقوف منها موقف المتفرج ، دون تقديم البديل أو الحلول ، لا مبرر لها .

وعلى النقيض من الآراء السابقة المعادية للعولمة ، ثمة رؤية جديدة متفائلة ترى في العولمة وجهاً آخر ، يعتبرها قفزة حضارية وحدثاً كونياً لصالح الإنسانية ، وفرصة للتواصل في كافة المجالات .

في هذا السياق يرى **علي حرب** أن العولمة هي " حدث كوني له بعده الوجودي ، إنها ظاهرة جديدة على مسرح التاريخ ، خلقت واقعاً تغير معه العالم عما كان عليه بجغرافيته وحركته، بنظامه وآليات اشتغاله ، بإمكاناته وآفاقه المحتملة "[29] .

27- السيد يسن : في مفهوم العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص 27 .

28- سيار الجميل : العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط (مفاهيم عصر قادم) ط2 (الأردن ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1996م) ، ص29 .

29- حسن حنفي وصادق جلال العظم ، ما العولمة ؟ مرجع سابق ، ص 85 .

ولم يتوقف **علي حرب** عند هذا الحد ، بل تمادى في إطراء ومدح العولمة ، واصفاً إياها بأنها وسيلة للخلاص والتحرر ، فيقول : " لا شك أن العولمة تفتح أفقاً جديداً ... هناك حقاً إمكانات جديدة تتيحها العولمة للتحرر من أسر التاريخ وعبادة الأصول ، وأقبية الهويات ومعسكرات العقائد ، بالطبع إنها مجرد إمكانية ، تتوقف على مفهوماتنا للكائن والحقيقة ، للإنسانية والوحدة والهوية "[30] .

ترى الباحثة أن إطراء **علي حرب** للعولمة مبالغ فيه ، إذ ينظر إليها وكأنها شيء منزل من السماء ، جاء لينقذ البشرية ، فأنا ضد الإفراط ، سواء في هجاء العولمة أو الثناء عليها ، فخير الأمور أوسطها ، فالعولمة ظاهرة لها من السلبيات والإيجابيات ، فعلينا – نحن العرب – أن نتباكى ونقف موقف المتفرج البليد ، بل يجب أن نقف موقف المتفرج صاحب الإرادة والوعي، الذي يأخذ بإيجابياته ، ويترك سلبياتها .

ب- العولمة في الخطاب الغربي :

لقد حفلت العديد من الأدبيات الأجنبية بمفاهيم بارزة للعولمة ، على اعتبار أن مصطلح العولمة (Globalization) شاع استعماله لأول مرة في الغرب ، لذلك نجد أن الخطاب الغربي في معظمه يعكس ، أو بالأحرى ، يعبر عن إيديولوجيا النظام الرأسمالي ، حيث يقدم لنا جيمس روزنا ومحاولة نظرية ملفتة لتعريف العولمة ، وبالرغم من أنه يرى أن الوقت لا يزال مبكراً لصياغة تعريف كامل وجاهز يلاءم التنوع الضخم لهذه الظاهرة ، إلا أن محاولته تتبلور في أن مفهوم العولمة يقيم " علاقة بين مستويات متعددة لتحليل الاقتصاد والسياسة والثقافة والإيديولوجيا، تشمل إعادة تنظيم الإنتاج ، تداخل الصناعات عبر الحدود

30- المرجع السابق ، ص85 .

، انتشار أسواق التمويل ، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول ، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة "[31] .

وترى الباحثة أن محاولة روزنا لم تصل نظرياً إلى مستوى تعريف واضح للعولمة ، بقدر ما هي علامة استفهام كبرى لمجموعة من التساؤلات المبعثرة التي تحتاج إلى إجابة عنها ، ولكن هذا لا يمنع من القول بأن روزنا و حدد جميع عناصر العولمة وهي : الاقتصاد والسياسة والثقافة .

أما بول سوينزي فإنه يعرف العولمة بأنها " سيرورة رأسمالية تاريخية ، يتحول فيها نمط الإنتاج الرأسمالي من دائرة عولمة المبادلة والتوزيع والتسويق والتجارة ، إلى دائرة عولمة الإنتاج ، بالتوازي مع عولمة رأس المال الإنتاجي ، وقوى الإنتاج الرأسالمية وعلاقاتها ، مما يقود إلى إخضاع العالم كله إلى النظام الرأسمالي ، تحت قيادة القوى الرأسمالية العالمية والمركزية وهيمنتها وتوجيهها ، وسيادة نظام التبادل الشامل والمتحيز لصالح الاقتصادات الرأسمالية المتقدمة "[32] .

ويوافق فوكوياما سوينزي في هذا الرأي حيث يرى أن العولمة تمثل مرحلة متقدمة من تطور النظام الرأسمالي، إذ " تتم عولمة الاقتصاد الدولي على أساس قوانين السوق الرأسمالية ، والدور المحدود للدولة في الاقتصاد الوطني والتجارة الخارجية والاستثمار الأجنبي الحر ، وبالتالي الشركات المتعددة الجنسيات وتكامل الاقتصادات الوطنية عالمياً"[33] .

31- السيد يسن : الزمن العربي والمستقبل العالمي ، ط1(القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1998م)، ص 54 .
32- بول سوينزي : العولمة سيرورة متواصلة (مجلة الثقافة الجديدة ، دمشق ، العدد 281 ، آذار/ مارس 1998م)، ص 29 .
33- عبد المنعم السيد علي : العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء ، ط1 (مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،العدد 83 ، السنة 2003م) ، ص 11 .

وهناك من يرى في العولمة مشروعاً أمريكياً لتحقيق الاستقرار ، فقد اعتبر روبرت كيهان العولمة " مشروعاً سياسياً أمريكياً ضرورياً لتحقيق الاستقرار ، لأن الهيمنة تخلق الاستقرار بواسطة احترام مجموعة من قواعد اللعب ، إنه المنحى الذي يضفي على المشروع مشروعيته ، وتجاهله القواعد التي استقر عليها العالم بعد الحرب العالمية بداهة "[34].

وتستغرب الباحثة وتتساءل : منذ متى كان الاستقرار مرتبطاً بالهيمنة والسيطرة ، وخاصة إذا كان هذا الاستقرار مرتبطاً بأمريكا ، فأمريكا لم ولن تكون مصدر الاستقرار في العالم، بل هي مصدر الدمار والخراب والإرهاب ، والأحداث والمتغيرات السياسية الراهنة أكبر دليل على ذلك .

أما جراهام طومبسون (Graham Thompson) فيعرف العولمة بأنها " العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة يعتمد كل منها على الآخر بشكل متزايد، بسبب ديناميكيات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتكنولوجيا "[35] .

وعلى النقيض تماماً للآراء السابقة هناك من رفض العولمة جملة وتفصيلاً ، بل دعا إلى مواجهتها ومقاومتها ، وقد تبنى هذا الرأي أغلب المفكرين الأوروبيين ، وعلى الأخص الفرنسيين، فيرى جون بيار وارنيه أن " العولمة وسيلة لتضييع الهويات الخاصة ، ولهذا يناضل بعضهم من أجل المحافظة على الخصوصية لدرجة استعمال العنف "[36] . وهذا ما يؤكده أيضاً الفرنسي بول فريليو (Paul Vrilio) في قوله : " إن ما يتهدد الهوية الأوربية من مخاطر هو العولمة التي يراد لها أن تسيطر ، وهي مرادفة لمعنى أمركة وآلية

34- عمار جيدل وعبد المجيد الصلاحين وآخرون : العولمة من منظور شرعي ، ط1 (عمان ، دار الحامد للنشر، 2002م) ، ص 12 .

35- جراهام طومبسون : تحديد موقع العولمة ، ترجمة بهجت عبد الفتاح (المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، اليونسكو ، العدد 160 ، يونيو 1999م) ، ص10 .

36- عمار جيدل وعبد المجيد الصلاحين وآخرون : العولمة من منظور شرعي ، مرجع سابق ، ص 18 .

الإنتاج الليبرالي والمضاربات المالية ، وإنما أيضاً الهيمنة على الثقافات الأخرى وإلغائها وإذابة الثقافة الصغرى وإلغاء الخصوصيات والهويات وخلق عالم اللاثقافات "[37] .

وخلافاً للرأيين السابقين ، المؤيد والمعارض للعولمة يوجد رأي ثالث محايد بعيد عن أي تعصب إيديولوجي ، يرى في العولمة فرصة للإنسانية جمعاء ، في هذا الصدد يقول إدغر موران :" إن العولمة فرصة للتواصل والتفاهم بين البشر من مختلف الثقافات في كوكب الأرض ، وتمكن من تحقيق التمازج والتواصل بين الثقافات "[38] .

كما يؤكد هذا الاتجاه رونالد وبيتر (Ronald and Peter) بقولهما : " إن العولمة عملية مترابطة ستؤثر في جميع مدن العالم ، ولكن بدرجات متباينة وطرق متفاوتة"[39] .

بعد هذا العرض السريع لمفهوم العولمة في الخطابين العربي والغربي نستخلص نقطة مهمة هي أن هذين الخطابين يقفان على طرفي نقيض ، حيث إنهما يمثلان تيارين متعارضين ، فالخطاب العربي يمثل التيار المعادي في أغلبه للعولمة ، لأن يرى فيها استمراراً لهيمنة النظام الرأسمالي الذي يستهدف تحقيق أعلى معدلات الربح على حساب فقراء العالم الثالث ، أما الخطاب الغربي فيمثل التيار المؤيد في أغلبه للعولمة ، وتهيمن عليه إيديولوجية النظام الرأسمالي، وعلى كل حال فإن لكل خطاب أسبابه الخاصة به في رفض العولمة أو قبولها .

37- مؤيد عبد الجبار الحديثي : العولمة الإعلامية ، ط1 (عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، 2002م) ، ص61 .
38- عمار جيدل وعبد المجيد الصلاحين وآخرون : العولمة من منظور شرعي ، مرجع سابق ، ص 12 .
39 - Peter Marcuse and Ronald Van Kempen (ed), Globalization Cities: A New Special Order, Black, UK,2000,P.10.

ثانياً: إشكالية علاقة مفهوم العولمة بغيره من المفاهيم :

درج الكثير من الدراسات على خلط مفهوم العولمة بغيره من المفاهيم ، واستخدامه في السياق نفسه ، فاستخدمت العالمية والأمركة ، والهيمنة والنظام العالمي الجديد على أنها مصطلحات مرادفة للعولمة ، وإنني أرى أن هذا الخلط والتداخل في مفهوم العولمة لا أساس له ، لأن العولمة ظاهرة شمولية تبتلع جميع هذه المفردات الاصطلاحية .

وسنحاول فيما يلي توضيح اللبس القائم حول مفهوم العولمة والخلط بينه وبين غيره من المفاهيم :

1. العولمة والعالمية :

يشير كثير من الدراسات والأبحاث إلى أن العولمة هي رديف للعالمية ، أي أنهما وجهان لعملة واحدة ، وهذا غير صحيح ، فعلى الرغم من أن العولمة والعالمية تشتركان في بعض الصفات ، مثل العمومية والشمولية ، فضلاً عن أنهما يرجعان إلى مصدر واحد وهو كلمة (عالم) ، حيث يورد (المعجم الفلسفي) أن العالمي أو العالمية هو " المنسوب إلى العالم ، تقول المواطن العالمي ، والعالمية مذهب من يقدمون حب الإنسانية على حب الوطن ، كالرواقيين ، فهم يسمون أنفسهم مواطنين عالميين Mondcitoyens "[40] .

كما يحدد رجب بودبوس في القاموس سياسي كلمة عالمي بقوله : " هو صفة ما يتعلق بالعالم ، أي بكل الأرض، ما يشمل كل الأرض ، فنقول سكان العالم ، وإنتاج العالم، شهرة عالمية "[41] .

هذا فيما يتعلق بالمعنى اللغوي ، أما من ناحية تنظيرية اصطلاحية فالعولمة شيء والعالمية شيء آخر، وفي هذا الصدد يفرق محمد الجابري بين العولمة والعالمية فيقول : " العولمة شيء والعالمية شيء آخر ،

40- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ب ط (بيروت ، دار الكتار اللبناني ، 1982م) ، ص 47 .
41- رجب أبو دبوس : القاموس سياسي ، ط1 (ليبيا ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1425 ميلادية)، ص 209 .

العالمية تفتح على العالم ، على الثقافة الأخرى ، واحتفاظ بالخلاف الإيديولوجي، أما العولمة فهي نفي الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي"[42] ، ثم يضيف في مقام آخر فيقول : " العولمة Globalisation تعني إرادة الهيمنة ، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي . أما العالمية Universalisme فهي طموح إلى الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي . العولمة احتواء للعالم ، والعالمية تفتح على ما هو عالمي وكوني "[43] .

كما يعرف عبد الإله بلقزيز العالمية " بأنها تعني النزعة إلى إفساح الفضاء العالمي للإنسان، وإفراغ ممارسته وأفكاره وتوجيهاته من محيطها الضيق (الموطن أو المولد) إلى فضاء أرحب ، ينتقل عبره الإنسان كل الإنسان بلا قيود ولا حدود ، ليصبح عاملاً مؤثراً أو متأثراً بالمحيط العالمي كله "[44].

ويذهب سيار الجميل المذهب نفسه فيقول : " العولمة ذاتها ليست العالمية ، لأن العالمية مرتبطة بالأرضية ، أي الأرض كما هو مألوف ، أما العولمة فهي الكونية وليست العالمية ، لأن العولمة أو الكونية هي التي نقلت الإنسان ، عند نهايات القرن العشرين ، من استخداماته للأرض فقط ، (مع تطلعاته للسماء) إلى استخداماته للأرض (مع اختراقاته للفضاء) معاً ، مادياً وحضارياً ، بديلاً عن تخيلاته القديمة "[45] .

من خلال طرح هذه الآراء ترى الباحثة أن العولمة تختلف في مضمونها عن العالمية ، فالعولمة المتعارف عليها حالياً تشارك العالمية في الشكل ، وتناقضها في المضمون ، أما من حيث موافقتها في الشكل فهما يتشابهان في أنهما يمثلان أعلى درجات الانفتاح على العالم ، وأما من حيث اختلافهما في المضمون ، فمضمون العالمية في الانفتاح على العالم قائم على مبدأ الاختيار والتنوع وعدم إقصاء ونفي

42- محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص 301 .
43- محمد عابد الجابري : العولمة والهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص 301 .
44- عبد الهادي أبو طالب : العالم ليس سلعة ، مرجع سابق ، ص 23 .
45- سيار الجميل : العولمة والمستقبل العربي (استراتيجية تفكير) ، ط1 (القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1998م) ، ص 102 .

خصوصيات الثقافات الأخرى ، لأن الاختلاف هو سنة الله في خلقه ، فالحياة قائمة على التنوع والاختلاف وفقاً للمبدأ القرآني : قال تعالى : ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلفوا ﴾[46].

فعالمية القرآن تحترم التعددية والخصوصيات الثقافية للشعوب الأخرى ، بل وتتفاعل معها ، أما انفتاح العولمة ومضمونها ، كما يلاحظ في الواقع فقائم على مبدأ الإجبار والاحتكار ونفي الآخر وإقصائه والقضاء على التعددية ، وإلغاء ثقافات الشعوب الأخرى وتنميطها بنمط ثقافة العولمة المتمثل في النمط الأمريكي السائد حالياً .

والحقيقة التي أريد أن أؤكدها لكيلا أقع في التناقض ، هو أن العالمية هي المفهوم الوحيد من بين المفردات التي سأطرحها الذي لا يمكن أن يكون مرادفاً للعولمة إلا في حالة وهي أن تتخلص العولمة من طوق الاحتكار والسيطرة ، فتصبح العولمة هي رديف للعالمية،أما في حالة عدم تحررها من هذا الطوق فلا يمكن أن تكون العالمية رديفاً العولمة .

2. العولمة والأمركة :

هو النمط الثاني لعملية الخلط واللبس ، حيث يرادف مصطلح العولمة وهذا تعبير صريح عن أن العولمة تمثل إرادة الهيمنة الأمريكية ، حيث تضمن الخطاب العربي في أغلبه هذا النوع من الخلط ، حيث يشير عبد الإله بلقزيز إلى أن العولمة " هي الاسم الحركي للأمركة "[47] ، ثم يضيف قائلاً : " ليست الأمركة أسطورة جديدة من أساطيرنا السياسية ، ولاهي شماعة تعلق عليها إخفاقاتنا وعجزنا ، بل هي حقيقة مادية تعيشها

46- سورة يونس ، الآية 19 .

47- عبد الإله بلقزيز : عولمة الثقافة وثقافة العولمة ، مرجع سابق ، ص 319 .

أوروبا نفسها ، وتحتج عليها ، وتنظم مقاومتها ضدها ، وتعتبرها خطراً استراتيجياً يهدد استقلالها الاقتصادي والسياسي وهويتها الثقافية"[48] .

أما محمد عابد الجابري فيرى أن العولمة لا تعكس فقط التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا ، بل هي أيضاً " إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته"[49].

وترى الباحثة أن خلط مفهوم العولمة بمفهوم الأمركة ، وجعلهما مترادفين سواء من قبل الباحثين العرب أو الغربيين ، يرجع إلى عدة أسباب ، من بينها أن العولمة كمصطلح ظهر أول ما ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا يفترض تبني النموذج الأمريكي في الاقتصاد والسياسة وطريقة الحياة بشكل عام ، وجعل العولمة حكراً على الأمريكيين ، ومن ثم فهم يصدرونها إلى الآخرين على طريقتهم ، أما السبب الأهم فهو استحواذ الإعلام الأمريكي واحتكاره لنصيب الأسد من الإعلام العالمي ، ما سهل على أمريكا مهمة الدعاية لثقافتها وسياستها وهيمنتها وإعطاء نفسها مهمة الوصاية على العالم ، وكأنها هي " السوبرمان" الذي سينقذ البشرية بأسرها ، وهذا ما عبر عنه تيودور روزفلت ، أحد رؤساء أمريكا السابقين ، حين قال : " قدرنا هو أمركة العالم "[50] ثم أكد من بعده جورج بوش بقوله : " إن القرن القادم سيكون قرناً أمريكياً"[51].

ومن هنا كان على الإدارة الأمريكية أن تبحث عن الطرق التي تحقق بها هيمنتها ووصايتها على العالم ، فاتخذت من العولمة وسيلة وستار تختفي خلفه سياستها ، ولكي تفرض سيطرتها على العالم .

48- المرجع السابق ، ص 319 .
49- محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية ، مرجع سابق ، ص 300 .
50- عبد الرزاق محمد الدليمي : الإعلام والعولمة، ط1 (عمان ، دار الرائد العلمية للنشر، 2004م)، ص21.
51- المرجع السابق ، ص 21 .

وهكذا تكون العولمة مرادفاً للأمركة ، لأن العولمة ظاهرة أشمل وأعم من العولمة ، والعملية هي تزوير للمصطلحات والمفاهيم ، على حد قول موسى الأشخم : " إذا كانت العولمة تعني تغليب الشأن العالمي على الشأن المحلي لكل دولة ، فإن ما يحدث في العالم ، منذ غزو العراق عملياً ، لا يتوافق مع ذلك ، بل – على العكس تماماً – يدل دلالة واضحة على تغليب الشأن الأمريكي على الشأن العالمي ، أو بمعنى آخر على الشأن المحلي للأمم والبلدان الأخرى ، رغم أن ذلك التغليب يتم تحت لافتة العولمة في عملية تزوير للمصطلحات والمفاهيم لم يسبق لها مثيل في هذا العالم "[52] .

بناء على ما سبق تؤكد الباحثة أنه على الرغم من امتلاك أمريكا لتكنولوجيا عسكرية واقتصادية عظيمة وسيطرتها على أدوات العولمة ، كمنظمة الجات والتجارة العالمية وصندوق النقد الدولي ، إلا أن هذا لا يعني بالضرورة مرادفتها للعولمة ، فضلاً عن أن العالم اليوم تتنوع فيه الأقطاب والتحالفات الاقتصادية التي تنافس القوى الرأسمالية الاقتصادية ، كالتحالف الأوروبي المتمثل في الاتحاد الأوروبي ، وظهور اليابان كقوة اقتصادية منافسة للاقتصاد الأمريكي ، بل ومهدد له ، وغير ذلك من التحالفات الأخرى ، كل ذلك قد يدفع موازين القوى نحو التغير ، أليس من الممكن أن يحدث لأمريكا ما حدث للاتحاد السوفييتي الذي كان حتى عهد قريب قوة عظمى منافسة لأمريكا ؟ ولذا فإنه لا يمكن ربط العولمة كظاهرة شمولية بموازين دولة قوية قد تنهار في أي وقت .

3. العولمة والنظام العالمي الجديد :

يمثل النمط الثالث لعملية الخلط واللبس في مرادفة مفهوم العولمة بمفهوم النظام العالمي الجديد ، والحقيقة أن النظام العالمي الجديد شيء ، والعولمة شيء آخر ، فقد برز مفهوم (النظام العالمي الجديد) بعد

52– عز الدين اللواج : الإعلام العربي وتفاعلات العولمة (مجلة المؤتمر ، العدد 38 ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، طرابلس ، س4 ، الطير/ أبريل 1373و .ر ، 2005ف) ، ص 26 .

أن شهد النظام الدولي تغيرات جوهرية في أعقاب سقوط نظم الحكم الاشتراكية في شرق ووسط أوروبا ، وتفكك حلف وارسو ، ثم انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991 ، ونهاية الحرب الباردة ، التي كانت مشتعلة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية ، أدت إلى نهاية النظام ثنائي القطبية ، وبروز نظام القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، إضافة إلى انهيار سور برلين وكارثة حرب الخليج الثانية وما أعقبها ، كل هذه معطيات أفسحت المجال لبروز نظام عالمي جديد تترأسه أمريكا ، فقد تبنت أوساط إعلامية أمريكية الترويج والتبشير له ضمن استراتيجية أمريكية حرصت على ربط هذا النظام بجملة من القيم والمبادئ الإنسانية كالحرية والعدالة والديمقراطية .

وعلى الرغم من أن هذا النظام يحوي في ثناياها الاتحاد الأوروبي واليابان والصين وغيرها من الدول الصناعية ، إلا أن هيمنة أمريكا اقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً جعلها تنفرد برئاسته ، وبدافع من نرجسيتها تحاول صياغة العالم من جديد على طريقة النظام العالمي ، الجديد ، أي الأمريكي[53] .

وقد أصر **جورج بوش** على اعتبار نفسه معنياً بالإصلاح الجذري للعالم ، عن طريق النظام العالمي الجديد ، وفي هذا يقول **محمد حسنين هيكل** إن مقولة النظام العالمي الجديد تجمدت على ألسنة أصحابها ، ويلفت النظر إلى أن **جورج بوش** نفسه " استعمل تعبير النظام العالمي الجديد 274 مرة خلال خطاباته الرسمية وأحاديثه العامة ، ما بين آب / أغسطس 1990م (غزو العراق للكويت) حتى آذار / مارس 1991 (إخراج العراق من الكويت) ، لكنه من آذار/مارس 1991 حتى انتهاء رئاسته في كانون الثاني / يناير 1992 لم يذكر هذا التعبير غير ثلاث مرات "[54] .

بناء على ما سبق ترى الباحثة أن ما ينطبق على مرادفة الأمركة للعولمة ينطبق على مرادفة العولمة للنظام العالمي الجديد ، فلا يمكن أن يرادف النظام العالمي الجديد العولمة ، لأن العولمة – كما سبق أن أشرنا – ظاهرة أشمل وأعم من أي نظام ، سوء أكان عالمياً أم محلياً ودولياً ، فلا يمكن أن تكون الأمركة

53- محمد علي حوات : العرب والعولمة (شجون الحاضر وغموض المستقبل)، ط2 (القاهرة مكتبة مدبولي، 2004م) ، ص 17 – 19 .

54- جورج حجار : العولمة والثورة ، شعبي سيحكم ، ط1 (بيروت ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، 2000) ص 32 .

والهيمنة الإمبريالية والنظام العالمي الجديد وغيرها مرادفات للعولمة ، إلا أنه يمكن القول إن النظام العالمي الجديد هو مرادف للأمركة وللهيمنة ، لأنهما وجهان لعملة واحدة .

بعد هذا العرض السريع لمفهوم العولمة في اللغة والاصطلاح إلى جانب تناول إشكالية تداخل مفهوم العولمة بغيره من المفاهيم التي أشرنا إليها ، ترى الباحثة تقديم رؤيتين لحقيقة مفهوم العولمة ، سوف تستخدمها كعنصرين أساسيين للارتكاز عليهما في هذه الدراسة :

1- **الرؤية الأولى** : تطلق عليه الباحثة اسم المفهوم الحقيقي للعولمة ، حيث تتفق الباحثة مع التعريف الذي يشير إلى أن العولمة تعني " زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية ، من خلال عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والأفكار والمعلومات "[55] . هذا الارتباط القائم على التعاون والأخذ والعطاء والاختيار واحترام الخصوصيات والتعددية الطائفية والإثنية وانفتاح العالم بعضه على بعض في كافة المجالات الاقتصادية والاستثمارية والثقافية وغيرها ، هذه هي العولمة الحقيقية البعيدة عن التعصب الإيديولوجي والاحتكار والسيطرة وفرض هيمنة ثقافة دول المركز ، التي تتقلص من خلالها حدود الزمان والمكان ، وتتقلص المسافات الجغرافية والثقافية والاقتصادية ، ويصبح العالم بأسره إنسانية واحدة ، تتنوع فيها الأفكار والثقافات والديانات والإيديولوجيات ، وهذا المفهوم الحقيقي للعولمة عرفه الإنسان منذ قيام الحضارات في القدم .

2- **الرؤية الثانية** : تطلق عليها الباحثة اسم المفهوم الواقعي المعاصر للعولمة ، حيث تعرفها بأنها سعي دول الشمال ، المركز المتفوق علمياً وتقنياً واقتصادياً للسيطرة على دول الجنوب الأطراف اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً وإعلامياً ، تحت شعار مساعدتهم للنهوض والإصلاح والتنمية الشاملة ، بهدف تحقيق العدالة

55- عمر محي الدين : مداخلة في ندوة (العرب والعولمة) مرجع سابق ، ص 35 .

والرفاه للجميع ، وينطوي هذا المفهوم على نظرة دول الشمال الاستغلالية للعولمة من أجل السيطرة على دول العالم الثالث الفقيرة ، وهذا المفهوم يعكس آثاره على أرض الواقع ونعيشه لحظة بلحظة ، إلا أنه يمكن لدول الجنوب أن تستفيد من العولمة ومعطياتها كأداة للتقدم والنهوض العلمي والتقني لاستنهاض القدرات في مواجهة تحديات العولمة، لذلك يمكن القول إن العولمة سلاح ذو حدين ، فبقدر ما فيها من سلبيات توجد بها إيجابيات ، فعلينا الاستفادة من إيجابياتها وتجنب سلبياتها .

ثالثاً: أبعاد مفهوم العولمة :

لا شك في أن العولمة ظاهرة شمولية ، تشير إلى نطاق واسع من الأنشطة الإنسانية المختلفة ، ذلك أن مفهومها يحتوي في ثناياه مفاهيم متعددة الأوجه ، الأمر الذي صعب على المفكرين الاتفاق على تعريف جامع مانع للعولمة ، ومع ذلك فقد حدد بيتر تايلور وكولن فيلنت ثمانية أبعاد للعولمة هي كالآتي :

1. **العولمة المالية** : وتصف حركة السوق المالية العالمية ، على مدى أربع وعشرين ساعة لتحديد " النتاجات المالية المتعامل بها في المدن المالية عبر العالم "[56] .

2. **العولمة التكنولوجية** : وتصف الاتصال الفوري للمعلومات عبر العالم من خلال مجموعات مترابطة من " تكنولوجيا الكمبيوتر والاتصالات وعمليات ربطها بالأقمار الصناعية التي نجم عنها انضغاط الزمان والمكان "[57].

56- بيتر تايلور وكولن فيلنت : الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر ، تعريب : عبد السلام رضوان (عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية ، ج1 ، العدد 282 ، الكويت ، يونيو 2002م) ، ص 19 .

57- المرجع السابق ، ص 19 .

3. **العولمة الاقتصادية** : وتصف نظم الإنتاج والاستهلاك وأنظمة البيع وأنماط السلع عبر مجموعة متكاملة " تمكن الشركات الكونية من استغلال المال والعمل عبر العالم على اتساعه"[58].

4. **العولمة الثقافية** : وتشير إلى استهلاك النتاجات الثقافية الكونية عبر العالم وتأثيرها المهمين، كما في " الكوكا كولا cocalization وعالم ماك Mc World"[59] .

5. **العولمة السياسية** : وتتمثل في أجندة الليبرالية الجديدة وأهدافها المؤيدة " لخفض إنفاق الدولة والتحرير التشريعي ، والخصخصة والاقتصادات المفتوحة"[60] .

6. **العولمة البيئية** : وهي عولمة تخشى التجاوزات البيئية والاجتماعية الراهنة على قدرة الأرض وبقائها ككوكب حي ، وتطمح إلى " أن تصبح عولمة سياسية خضراء "[61] .

7. **العولمة الجغرافية** : تتعلق بإعادة ما يسمى بتنظيم الحيز والمسافة في جغرافية الكوكب ، وذلك من أجل السعي لخلق عالم تذوب فيه " الفواصل الحدودية بصورة متزايدة ، عالم سينظر إليه في أغلب الأحيان على أنه من المدن العالمية "[62] .

8. العولمة السوسيولوجية : وهي ذلك الخيال الواسع العالمي الذي يسعى إلى استشراف مستقبل أفضل من أجل " ظهور مجتمع عالمي واحد أو كل اجتماعي مترابط يتجاوز حدود المجتمعات القومية "[63] .

وتقترح الباحثة إضافة بعدين آخرين إلى الأبعاد الثمانية السابقة هما :

58- المرجع السابق ، ص 19 .
59- بيتر تايلور وكولن فيلنت : الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص 19 .
60- المرجع السابق ، ص 19 .
61- المرجع السابق ، ص 20 .
62- المرجع السابق ، ص 20 .
63- المرجع السابق ، ص 20 .

9. **العولمة القضائية** : وتتعلق بإعادة صياغة القوانين المشرعة دولياً ، وبلورتها في قانون أو قوانين مشاعة للجميع ، بغض النظر عن مصادر القوانين الدولية المتعارف عليها وتشريعاتها المختلفة ، سواء أكانت دينية أم عرفية أم وضعية ، ويتعولم القضاء ، ويصبح صالحاً للتطبيق على الجميع .

10. **العولمة العسكرية** : وتعني ضم جيوش العالم تحت لواء ما يسمى بالقوات متعددة الجنسية، على غرار الشركات متعددة الجنسية ، بغض النظر عن انتماءات الجنود الإيديولوجية والدينية والعرقية ، وهذا ما يحدث بالفعل في العراق ، حيث توجد قوات متعددة الجنسية ، تضم جنسيات وطوائف متعددة من عرب وإنجليز ومسلمين ومسيحيين وغيرهم .

رابعاً: النشأة التاريخية للعولمة في الفكر الإنساني (القديم –الوسيط –الحديث –المعاصر) :

العولمة ليست ظاهرة حديثة كما يزعم الكثيرون ، بل هي ظاهرة قديمة ، إلا أن مفهومها كمصطلح لم يحظ بالذيوع والانتشار إلا في السنوات الأخيرة ، وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين القطبين الشيوعي والرأسمالي ، ومن ثم فهي ليست نتاج العقود الماضية ، وإنما هي نتاج تاريخ طويل ضارب في القدم .

وقد اختلف آراء الباحثين بشأن تحقيب تاريخ العولمة ، مثلما هو الحال في اختلافهم في تحديد مفهوم جامع مانع لها ، يتفق عليه الجميع ، لذلك ترى الباحثة أن تقسم عملية تحقيب العولمة تاريخياً على محورين أساسيين ، وفق اتجاهات الدارسين لها ، وهي كالتالي :

1- المحور الأول :

يميل أصحابه إلى تحقيب العولمة تاريخياً من خلال ربطها بمسيرة الحضارات والإمبراطورات التي ظهرت على مر التاريخ ، وقد تبنى هذا الاتجاه عدد من المفكرين والباحثين العرب ، منهم – على سبيل المثال –

حسن حنفي الذي رأى أن العولمة ليست ظاهرة جديدة ، بل هي قديمة قدم التاريخ ذاته ، وذلك عندما " كانت تتصدر حضارة ما باقي الحضارات وتقود العالم"[64] . وعدد حسن حنفي الحضارات التي مرت عبر التاريخ ، مثل حضارات الشرق القديم كالصين وفارس ، مروراً بالحضارة العربية الإسلامية ، والحضارة الرومانية ، وصولاً إلى حضارة الغرب الحديث التي يتزعمها النظام الرأسمالي الحالي ، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية .

أما جميل مطر فهو أيضاً يرى أن " العولمة ظاهرة متصلة بالمسيرات الإمبراطورية عبر التاريخ ، أي بالهيمنة السياسية من جانب دولة مهيمنة أو مركز إمبراطوري ، سواء أكان هذا المركز أثينا أم روما أم لندن أم غيرها من عواصم الغرب الأوروبي ، وإن كانت هي في الولايات المتحدة الأمريكية "[65] .

ويتفق مع هؤلاء الذين أشرنا إليهم نخبة أخرى من المفكرين الذين يرون أن العولمة ظاهرة مرتبطة بتكوين الإمبراطوريات على مر التاريخ .

2- المحور الثاني :

يرى أصحابه أن العولمة في العصر الحديث ارتبطت بظهور الدولة القومية التي كانت النقطة الفاصلة في تاريخ المجتمعات المعاصرة ، التي ابتدأت من القرن الخامس عشر ، واعتمد أصحاب هذا الاتجاه النموذج الذي صاغه رولاند روبرتسون .

وعلى الرغم من تعدد محاور تحقيب تاريخ العولمة ، إلا أن الباحثة ترى أن العولمة ظاهرة ارتبطت بمسيرة المجتمعات الإنسانية المنظمة منذ القدم ، أي منذ دخول الإنسان في علاقات منظمة مع غيره ، بالإضافة إلى دخول الأمم والدول في علاقات منظمة مع بعضها البعض ، أخذت طابع التأثير والتأثر .

64- حسن حنفي وصادق جلال العظم ، ما العولمة ؟ مرجع سابق ، ص 17 .
65- جميل مطر : مداخلة في ندوة العرب والعولمة ، مرجع سابق ، ص 60 .

وبناء على ما سبق سوف تتبنى الباحثة اتجاهات المحورين وتتناول مفهوم العولمة وفق تطورها عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر .

أ- المرحلة الأولى (مرحلة التكوين) :

تشمل العصرين القديم والوسيط ، وتمثل هذه المرحلة البداية الأولى لتكون مفهوم العولمة وتبلوره ، ويرى محسن الخضيري أن العولمة في طور التكوين ، شأنها شأن الكائن ، لابد أن تمر بمرحلة أولية يكون فيها المصطلح " محل مراجعة ومراجحة ، محل تفاوض ونقاش ، وإقناع واقتناع ، مرحلة مد وجزر ، امتداد وانحسار ، وقد مر بها المصطلح في بداية تكونه "[66].

وعلى اعتبار أن العولمة تعني ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم في كافة المجالات الفكرية والثقافية والاقتصادية ، فضلاً عن تأثر الأمم بعادات وقيم أمم سابقة ولاحقة لها ، فإننا يمكن أن نتلمس جذور العولمة في حضارات الشرق القديم ،وعلى الأخص الحضارة الفرعونية ، التي كانت المنشأ الأصيل لمحاور شتى في العلوم الرياضية والهندسية والفلكية ، تجسدت تطبيقياً في أعظم انجازاتهم المتمثلة في بناء الأهرامات التي لا تزال شاهداً على عبقرية حضارتهم الخالدة ، وبذلك صنع الفراعنة لأنفسهم ثقافة عظيمة شملت معلومات وأفكاراً وتراثاً وتقانة ، لم تكن حكراً عليهم وحدهم ، بل يمكن القول أنها (تعولمت) فاستفادت منها أمم أخرى وصلت إليهم عن طريق " فتوحات الفراعنة القدماء ، سواء رحلاتهم إلى بلاد (بونت) الصومال أو في رحلاتهم إلى بلاد الفينيقيين (الشام حالياً) أو غزوهم للمجهول البعيد الشاسع ، كما تدل عليه آثارهم في الأمريكتين، ووصولهم قبل غيرهم بآلاف السنين "[67] .

66- محسن أحمد الخضيري : مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، ط1 (القاهرة، مجموعة النيل العربية ، 2000م) ، ص 40 .

67- المرجع السابق ، ص 41 .

على أن رجحان كفة الحضارة الفرعونية لا ينفي دور جيرانها ، وخاصة الحضارة البابلية التي برعت في علوم الفلك والتقاويم والحساب ، فكان البابليون أول من استخدم نظام الخانات العددية، ورموز الأرقام ، ولم يكن تراثهم العلمي حكراً عليهم ، بل انتقل إلى أمم أخرى استفادت منه ، وربما طورته إلى الأفضل ، ومن هذه الأمم الهند القديم[68] .

كما أننا لا ننسى الحضارة الصينية التي أسهمت بشكل كبير في صناعة العلوم التقنية ، كالطب الصيني والساعة المائية والورق والبارود ، وكانت إنجازاتهم ذروة الحضارات الشرقية القديمة في التقانة[69] ، التي انتقلت إلى الحضارات الأخرى ، واستفادت منها وطورتها أيضاً ، كما لا يمكن إغفال التراث الأدبي الثقافي الصيني ، وخاصة منتخبات كونفوشيوس الداعية إلى إقامة مجتمع إنساني فاضل قائم على الأخلاق واحترام حقوق الآخرين ، وفق مقولته الشهيرة " ما لا تريد أن يفعله الناس بك ، لا تفعله أنت بالآخرين "[70] ، أي لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به ، وأيضاً مجازاة الإشفاق بالإشفاق ، والأذى بالعدل وغير ذلك من آرائه الشهيرة القائمة على مبدأ الأخلاق والعدل .

وإن كانت عولمة اليوم ترفع شعارات الحرية والمساواة وحقوق الإنسان المزعومة ، فإن كونفوشيوس قد سبقها بالدعوة إلى عولمة إنسانية أخلاقية تحترم حقوق الإنسانية جمعاء دون استثناء ، في كل زمان ومكان ، وأكبر دليل على ذلك آراء كونفوشيوس ظلت خالدة إلى هذه اللحظة ، يضرب بها المثل في العدل والحكمة والخلق ، ولهذا نجد أن العولمة الحقيقية تكونت في حضارات الشرق القديم ، وهي عولمة تقنية فكرية عادلة

68- يمنى طريف الخوري : فلسفة العلم في القرن العشرين ، (الأصول ، الحصاد ، الآفاق المستقبلية) عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 264 ، ديسمبر / كانون الأول 2000) ص36 .

69- المرجع السابق ، ص 36 .

70- سعد خلف عبد الوهاب البنداري : العولمة في ميزان الإسلام ، ط1(طنطا ، دار الإسراء للطبع والنشر ، 2004م) ، ص 16 .

، قامت على قاعدة الأخذ والعطاء ، الإقناع والاقتناع ، وليس على قاعدة الهيمنة والاحتكار ، فعاشت آلاف السنين .

أما النموذج الثاني فهو المتمثل في الحضارة الإغريقية ، حيث نجد كثيراً من فلاسفتها ومفكريها قد نادوا بعولمة إنسانية يتوحد فيها جميع البشر بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ، ومن بين هؤلاء ديوجين السينوبي ، وهو احد أصدقاء سقراط ، ومؤسس مدرسة (سنيكا) ، وقد دعا إلى تطبيق نظام سنيكا على الكون ، الذي يدعو إلى تصادق مواطني العالم جميعهم واختلاطهم اختلاطاً ودياً ، على خلاف أجناسهم ، وهذا الترابط يلغي كل الاختلافات بين مواطني العالم ، المستندة إلى الطبقة والجنس والحكم ، لذلك لم يكترث ديوجين بنظام العائلة والمدينة ، لأنها أمور صناعية أو مصطنعة ، فكان يسعى إلى مجال أوسع وأرحب من نظام العائلة ، وكان الرجل العاقل في نظره هو الرجل العالمي ، فهو أول من أطلق كلمة (كوسموبوليتي cosmopolitan) على فنه ، وتعني أحد مواطني العالم[71] .

أما الرواقيون فكان لهم شأن عظيم في بناء وحدة المجتمع الإنساني ، فهم أول من دعا إلى (الجامعة الإنسانية) ، التي تعتبر أن الإنسانية جمعاء أسرة واحدة ، أعضاؤها أفراد البشرية أياً كانت ملتهم وألسنتهم وألوانهم ، وذلك وفق اعتقادهم السائد بوجود رابطة أخلاقية تربط بين الآلهة وبين الإنسان، بالإضافة إلى روح الإنسان التي لا تختلف عن عقل الكون ، وأن الآلهة والبشر ليسوا إلا جزءاً من ذلك العقل، ومن هنا فقد وجب على الناس " أن يكونوا إخوانا، وأن يؤلفوا فيما بينهم ما يسميه الرواقيون (مملكة العقل) وهي مملكة تشمل أفراد الإنسانية جميعاً، باعتبار أنهم أوتوا نصيباً واحداً من العقل "[72]، وهكذا أحل الرواقيون (الإنسان) محل (المواطن) ، وقضوا على العصبية المتقشية، وسعوا إلى إقامة دولة مثالية إنسانية، لا تعرف الحدود ولا

71- D.Runes, The Dictionary of Philosophy, edited by Dagobert, philosophical library,

72- عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ب ط (القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة ، 1955م)، ص 172.

الفروق ، بل هي "مجتمع عقلي يضم البشر أجمعين، وإن شئت فقل هي إمبراطورية مثالية واسعة الأطراف"[73]، وبذلك سعى الرواقيون إلى الدعوة لعولمة إنسانية تضم جميع البشر ، تركز على الجانب العقلي والأخلاقي الذي يتساوى فيه جميع البشر.

لقد كان الرواقيون نبراساً يحتذى به في الجانب الإنساني والأخلاقي، شأنهم في ذلك شأن آراء وقيم كونفوشيوس الخالدة.

إذا ما انتقلنا إلى النموذج الثالث وهو الحضارة الرومانية نجد أن روما حاولت استلهام أفكار الرواقيين وتطبيقها فيما يتعلق بقانون الشعوب (jusgentium) وجعله قانوناً عالمياً لجميع الناس دون استثناء ، ومن خلاله حققت روما انتصارات سياسية وعسكرية، حيث اتجهت إلى التوسع الخارجي ، وبدأ تضم إليها العديد من المدن الإيطالية ، فتمكنت من إقامة الإمبراطورية الرومانية المكونة من دول عالمية، تخضع لحكم مركزي، واستوعبت حضارات الأمم التي انضوت تحت لوائها[74].

وترى الباحثة أن استلهام روما لأفكار الرواقيين كان على النقيض تماماً، لأن الرواقيين أقاموا الجامعة الإنسانية ، بناء على وحدة العقل والأخلاق والأخوة بين البشر، فلم يكونوا بحجة إلى قيام إمبراطورية عسكرية مهيمنة، كما هو الحال عند الرومان، الذين كان إمبراطوريتهم قائمة على التوسع والهيمنة، وإخضاع الآخرين لهم، فكانت عولمتهم سلبية، وليست إيجابية.

أما النموذج الرابع فهو الحضارة العربية الإسلامية، ولا شك في أن الحضارة العربية الإسلامية تمثل النموذج العالمي الأمثل لكافة الحضارات السابقة واللاحقة لها، لأنها حضارة انفتاح على الآخر والتفاعل معه، فاستطاعت بذلك احتواء الحضارات السابقة لها، والتأثير الإيجابي في الحضارات اللاحقة ، وذلك لأنها

73- عثمان أمين: الفلسفة الرواقية ، مرجع سابق، ص 173.

74- سيار الجميل: العولمة والمستقبل العربي (استرايجية تفكير) ، مرجع سابق، ص 88.

لم تقتصر على نشر الدين الإسلامي ، بل كانت حضارة ذات نزعة إنسانية وعلمية وفكرية وثقافية، عكست المفهوم الإيجابي للعولمة القائم على الانفتاح والتأثير والتأثر، وهذا ما سنستعرضه فيما يلي:

أ- العولمة في الخطاب القرآني:

إن الدعوة الإسلامية التي بشر بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وحملها إلى العالم كافة هي دعوة عالمية، ولذلك تميز الخطاب القرآني بأنه خطاب عام موجه إلى البشرية جمعاء، كما يظهر من الكثير من الألفاظ التي لا تخص العرب وحدهم، بل تتجه للعالمين، مثل الإنسان، بني آدم، العباد، العاملين، وقد وردت هذه الألفاظ في العديد من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[75]، كما خاطب الله – جل جلاله – نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[76]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[77] ، ووفقاً لهذا توجه القرآن بالخطاب إلى البشرية كلها بعبارة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، وقد مثل هذا "النداء الأول للتعايش العالمي ، الذي سبق به القرآن نداء الأمم والمنظمات الدولية"[78]، كما جسد قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء ﴾[79] دعوة إلى عولمة عادلة، تتآخي فيها الإنسانية جمعاء، وتلغى كل الحدود الفاصلة والمفرقة بين أطراف العالم، هذه الحدود القائمة على العنصرية والقبلية واللون والجنس، فقد خاطب الله البشرية العالمية بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[80].

ويرى عبد الإله بلقزيز أن هذه العولمة جاءت بثلاثة مبادئ مهمة هي: "التسوية في العالمية بين الناس، وحقهم الثابت في الاختلاف شعوباً وقبائل، وهي إشارة بالمثال إلى أنواع الاختلاف المشروع، والإبقاء

75- سورة البقرة ، الآية 95.
76- سورة الأنبياء ، الآية 107.
77- سورة سبأ ، الآية 28.
78- عبد الهادي أبو طالب: العالم ليس سلعة، مرجع سابق، ص 25.
79- سورة آل عمران ، الآية 64.
80- سورة الحجرات ، الآية 13.

على تمايز الخصوصيات داخلها، لتعرف كل فصيلة أختها بما يميزها عن غيرها: لتعارفوا"[81]، ومن هنا فإن الالتقاء في رحاب العالمية، والانفتاح على الآخر، مع احتفاظه بخصوصيته، تمثل ثلاثية أقام عليها الإسلام دعوته ليتحقق الاحترام المتبادل بين بني آدم، كما أن الإسلام لم يفرض عولمته الملتحم شملها في مجتمع عالمي أساسه التقوى بحد السيف أو الاستعمار الاستيطاني، الذي يمارس هيمنته على الشعوب، وإنما دعا إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، دون إكراه، ودون رغبة في التوسع والهيمنة.

ب- الإسلام وعولمة العلم والمعرفة:

لم تقتصر الدعوة الإسلامية على نشر الإسلام في أرجاء المعمورة، بل كانت دعوة ذات توجه علمي معرفي، حيث ورد في القرآن العديد من الآيات التي كرم الله فيها العلم والعلماء ، ورفعهم إلى أعلى الدرجات، فقد أقسم الله – جل جلاله – بالقلم في قوله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[82]، كما خاطب الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[83]، هذا بالإضافة إلى أن الله – سبحانه وتعالى – كرم العلماء في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[84]، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ﴾[85].

ولن تكون ثمة شهادة أعظم وأرفع درجة من هذه الشهادة التي كرم الله بها العلماء وساواهم في المرتبة بالملائكة، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الإسلام ثورة علمية ، هدمت كل معاقل الجهل

81- عبد الهادي أبو طالب: العالم ليس سلعة، مرجع سابق، ص 25.
82- سورة القلم ، الآية 1.
83- سورة العلق ، الآية 1-5.
84- سورة القلم ، الآية 11.
85- سورة القلم ، الآية 18.

والتخلف، وفي ظل هذه الثورة العلمية تدافع "حكماء العرب والمسلمين إلى رفع الحدود عن العلم والحكمة، فأطلقوا شعار (علم بلا حدود)، وطبقوه في مجال البحث لمعرفي وتبادل الحكمة"(86).

وقد حمل العرب لواء المنهج العلمي ومواصلة مسيرة البحث العلمي في العصور المظلمة ، فكانت لهم الريادة في تنفيذ التقاليد العلمية، كما حقق بعضهم معجزة الرحلات الكبرى عبر العالم، بالرغم من ندرة المواصلات وصعوبة اختراق الأرض براً وبحراً، فاقتحموا أغوار الاكتشاف، فتثاقفت مداركهم ، وأسهموا في عطاءات الحضارة، حيث ترامت إمبراطورتهم الناهضة، وضمت مراكز الحضارات السابقة في كل من مصر والعراق والشام وفارس، وحتى الصيت التي لم يفتحها العرب، تكلفت طرق التجارة بنقل تراثها الثقافي الزاخر إلى العرب، فأصبح في أيديهم حضارات الشرق القديم، والتراث الإغريقي ، ليتفاعل مع تفتحهم الذهني، وتسامحهم العقلي ، فأصبحوا هم المؤسسين الحقيقيين لمفهوم العالمية في المعرفة، وليس أدل على ذلك م أن أفكار الحسن بن الهيثم وأبحاث الطوسي في الرياضيات وكتاب القانون لابن سينا في الطب وغيرها من كتب علماء المسلمين بقيت لزمن طويل هي المرجع الأساس للطلاب في العديد من الكليات العلمية في أوروبا(87)، وقد رفع بعض فلاسفة المسلمين شعار العالمية في العلم والمعرفة، ومن بينهم:

أ- **إخوان الصفا:** حيث دعوا في القرن الرابع الهجري إلى ضرورة التأكيد على الانفتاح على كل الثقافات والأفكار المختلفة، في كل دول العالم، شرقاً وغرباً، وذلك من خلال " دراسة المبادئ المشتركة للثقافات الدينية والإنسانية "(88)، وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أهمية التنوير في حياتهم العلمية ، والأخذ بثقافات الآخرين، دون تعصب أو تحيز.

86- عبد الهادي أبو طالب: العالم ليس سلعة، مرجع سابق، ص 27

87- يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 40-42.

88- عاطف العراقي: الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية، ب ط (القاهرة ، دار الرشاد ، ب ت) ، ص232.

ب- الكندي: الذي كان أول من رفع من بين فلاسفة المشرق العربي شعار " فلنبحث عن الحقيقة كحقيقة "[89]، بغض النظر عن مصدرها أو موطنها، وسواء أجاءت إلينا من دول عربية أم نقلت من بلدان أجنبية.

ج- ابن رشد: وما قيل عن إخوان الصفا وعن الكندي يقال عن آخر فلاسفة العرب ابن رشد، الذي نجد لديه نزعة تنويرية واضحة المعالم والأبعاد، سواء في دعوته إلى التأويل، أو في تأكيده على أهمية العقل، أو في اتجاهه النقدي البارز ، أو في دعوته للانفتاح على ثقافات وعلوم الشعوب الأخرى، نجد ذلك واضحاً في كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) حيث يقول: " ينبغي أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم، فننظر فيما قالوه من ذلك، فإن كان كله صواباً قبلناه منهم، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه "[90]، ويؤكد ابن رشد في موضع آخر على الاطلاع والانفتاح والنظر في ثقافات وكتب من تقدمنا من الأمم السالفة، فيقول إنه يجب " أن ننظر في الذي قالوه من ذلك، وما أثبتوه في كتبهم، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق لحق نبهنا عليه، وحذرنا منه ، وعذرناهم فيه "[91].

ويمكن القول إن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية عملاقة لم تحبس نفسها في قوقعة الأنا والانحسار داخلها، بل انطلقت في الفضاء الفسيح المنفتح على الآخر، فكانت حضارة مركز لصالح جميع الأطراف ، وأسهمت في تقدم وتحديث الشعوب الأخرى، وإدخالها ركب الحضارة العالمية الإنسانية، متوحدة معها ، ومساوية لها.

89- المرجع السابق، ص 233.

90- محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد الأندلسي: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، تحقيق وتصحيح: مصطفى عبد الجواد عمران، ط3 (مصر، المكتبة المحمودية التجارية ، 1968م) ، ص12.

91- المصدر السابق ، ص 13.

2- المرحلة الثانية (مرحلة ميلاد المصطلح):

تشير هذه المرحلة إلى العولمة في العصر الحديث، حيث سنعتمد على النموذج الذي صاغه رولاند روبرتسون، وتبناه أغلب الباحثين العرب، ينقسم هذا النموذج إلى خمس مراحل هي:

أ- المرحلة الجنينية:

وتمتد هذه المرحلة في أوروبا من القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر، وتشهد تغيرات كثيرة على الصعيد العالمي، منها " نمو المجتمعات القومية، وإضعاف القيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى ، كما تعمقت الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية "[92].

ب- مرحلة النشوء:

وتستمر هذه المرحلة في أوروبا من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام 1870م وما بعده، وفيها حدثت تحولات مهمة على صعيد الدولة الموحدة المتجانسة، وعلى صعيد العلاقات الدولية، فزادت إلى حد كبير " الاتفاقات الدولية ، ونشأت المؤسسات المتعلقة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول، وبدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، وبدأ الاهتمام بموضوع القومية والعالمية " [93].

ج- مرحلة الانطلاق:

وتستمر هذه المرحلة من 1870 حتى العشرينات من القرن العشرين، ظهرت في هذه الفترة مفاهيم كونية عديدة خاصة بالمجتمع القومي وبالهويات القومية الفردية ، فتم إدماج عدد كبير من المجتمعات غير الأوروبية في المجتمع الدولي، ونشأت عصبة الأمم المتحدة ، بالإضافة إلى أنه تمت " عملية الصياغة

92- السيد يس: في مفهوم العولمة، مرجع سابق ، ص 30.
93- المرجع السابق ، ص 31.

الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها، وحدث تطور هائل في عدد وسرعة الأشكال الكونية للاتصال وتمت المنافسات الكونية مثل الألعاب الأولمبية وجوائز نوبل، وتم تطبيق فكرة الزمن العالمي "[94].

د- مرحلة الصراع من أجل الهيمنة:

استمرت هذه المرحلة من العشرينات حتى منتصف الستينيات، واتسمت بالخلافات والصراعات الكونية حول صور الحياة المختلفة، وإلى جانب ذلك تم التركيز على " الموضوعات الإنسانية، بحكم حوادث الهولوكست وإلقاء القنبلة الذرية على اليابان، وبروز دور الأمم المتحدة"[95].

هـ- مرحلة عدم اليقين:

بدأت منذ الستينيات وأدت إلى بروز اتجاهات وأزمات في التسعينات، من هذه الاتجاهات إدماج العالم الثالث في المجتمع العالمي، وحدوث الهبوط على القمر، ونهاية الحرب الباردة، وشيوع الأسلحة الذرية، فظهرت بذلك " حركة الحقوق المدنية، وأصبح النظام الدولي أكثر سيولة، وانتهى النظام ثنائي القومية ، وزاد الاهتمام في هذه المرحلة بالمجتمع المدني العالمي ، والمواطنة العالمية، وتم تدعيم نظام الإعلام الكوني "[96].

إلا أن أهم حادث جلل وقع في عولمة العصر الحديث هو انتهاء الحرب الباردة بين القطبين: الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفييتي، والرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، ما أدى إلى انتهاء النظام ثنائي القطبية، وسيادة النظام أحادي القطبية بقيادة النظام الرأسمالي، وهزيمة النظام الشيوعي، وأدى هذا الانتصار للنظام الرأسمالي إلى ظهور وتصاعد العولمة في العصر الحديث والمعاصر.

94- السيد يس: في مفهوم العولمة، مرجع سابق ، ص 31.
95- المرجع السابق ، ص 32.
96- المرجع السابق ، ص 32.

3- المرحلة الثالثة (مرحلة التعدد والنمو):

تتضمن هذه المرحلة العولمة المعاصرة التي نعيشها لحظة بلحظة وتعتبر العولمة في الواقع حدثاً أكثر منها مرحلة، ويتبلور حدث العولمة المعاصرة في " انتهاء عمل منظمة الجات ، وبدء عمل منظمة التجارة الدولية (W.T.O) وممارسة أنشطتها في إزالة كافة الحواجز والقيود الفاصلة بين الدول، وفي الوقت ذاته الضغط بشدة على الحكومات من أجل التنازل عن سيادتها"[97].

وقد اتسمت العولمة بالتداخل والتشابك على كافة الصعد الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وفقاً للمصالح المتداخلة والمتفاعلة ، وأصبحت العوالم بذلك مفتوحة على بعضها البعض، دون " وجود للحدود السياسية بين الدول، ودون فواصل زمنية وجغرافية ، فالتزامن حضوري فوري قائم على (الآن) الفعل عبر وسائل الاتصال "[98].

ويرى محسن الخضيري أن هذا التشابك والتفاعل رهين بثلاثة عوامل أساسية هي:

أ- عملية انتشار المعلومات ووفرة البيانات بشكل فوري التي ساعدت على " توحيد وإيجاد تقارب فكري على مستوى العالم "[99].

ب- عمليات تذويب الفواصل والفوارق بين الدول التي ساعدت على تلاشي الحدود والفوارق الزمنية، فأصبح " العالم كله بمثابة سوق واحدة ضخمة، تربط بينها شبكة من مواصلات المعلومات والبيانات "[100].

ج- عملية إنتاج السلع والخدمات والأفكار وأنظمة البيع الآجلة والحاضرة وأنماط التسويق والتوزيع والإعلان المختلفة، التي ساعدت على " عملية التماثل والمحاكاة والتنميط ما بين الدول"[101].

97- محسن أحمد الخضيري: العولمة مقدمة في فكر واقتصاد وإرادة عصر اللادولة، مرجع سابق، ص 46.
98- المرجع السابق، ص 47.
99- المرجع السابق ، ص 46.
100- المرجع السابق ، ص 46.
101- المرجع السابق ، ص 46.

هذه العوامل الثلاثة كلها (المعلومات، الاتصالات، الاقتصاد) أسهمت في جعل العالم قرية كونية واحدة، تربطها شبكة قوية من الاتصالات المعلوماتية.

بناء على ما سبق ترى الباحثة أن العولمة ظاهرة مرتبطة بالتاريخ الإنساني، تفرض نفسها على ماضيه وحاضره ومستقبله، ولا تتفق الباحثة مع القائلين بأنها ظاهرة مؤقتة، ستنتهي مثلما انتهت ظواهر أخرى، كظاهرة الإمبراطوريات والقوميات، لأن العولمة مرتبطة بالإنسان والاقتصاد والسياسة والثقافة، وهذه الأشياء لن تنتهي إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

الخاتمــة

لقد اتضح لنا من خلال عرضنا السابق لمسائل البحث بأن العولمة ظاهرة شمولية مرتبطة بالإنسان والاقتصاد والسياسة والثقافة وبالتاريخ الإنساني ، وتفرض نفسها على ماضيه وحاضره ومستقبله.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة هي :-

1- على الرغم من أن شعار العولمة هو شعار جديد، شاع استخدامه في السنوات العشر الأخيرة، إلا أنها ليست حديثة بالدرجة التي توحي بها حداثة المصطلح، فالعولمة ظاهرة قديمة ارتبطت بكافة النماذج الحضارية التي عرفها تاريخ البشرية وبالوظيفة الحضارية التي اضطلعت بها تلك النماذج.

2- تؤكد كل المؤشرات والدلائل على أن العولمة المعاصرة تمثل مرحلة في تطور العالم، جوهرها سيادة النموذج الحضاري الغربي، وبالأخص النموذج الأمريكي القائم على التفوق العملي والتقاني والاقتصادي.

3- على الرغم من وجود مترادفات لمصطلح العولمة كالرأسمالية ، فالعولمة لا تعني رسملة العالم، أي أنها الوجه الآخر للنظام الرأسمالي، فالباحثة لا تنكر أن النظام الرأسمالي، بثقله وركائزه المتمثلة في الجات ومركز التجارة العالمي وصندوق النقد الدولي، قد أسهم بقوة في بروز ظاهرة العولمة في العصر الحديث، وخاصة في المجتمعات الرأسمالية، إلا أن ذلك لا يعني أن العولمة مرادفة للنظام الرأسمالي، أو أنها ولدت من رحم الرأسمالية، ولو سلمنا جدلاً بهذه الحقيقة، وهذا شيء مستبعد، فلماذا ننكرها على النظام الشيوعي، الذي كان له إلى عهد قريب جداً ما كان للنظام الرأسمالي من ثقل.

4- وأخيراً يجب توضيح حقيقة مهمة هي أن العولمة ظاهرة تسبح في فضاء زئبقي تتبلور وتنتعش حين تجد البيئة المنتعشة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، وقد انتعشت في السابق ، كما سبقت الإشارة، في فضاء الشرق القديم، وفضاء الحضارة اليونانية، والحضارة العربية الإسلامية ، ولا يمكن إنكار أنها الآن تستظل بالنظام

الرأسمالي، ولكن هذا قد لا يدوم طويلاً، وإن لم يكن من السهل التكهن بحد زمني لذلك، في ظل المتغيرات العالمية، وظهور قوى وتكتلات أخرى، سواء في الفضاء الأوروبي المتمثل في الاتحاد الأوروبي، أو الفضاء الأسيوي أو الأفريقي، وستنتهي عولمة المركز على حساب الأطراف، العولمة الاحتكارية الاستغلالية، وستظهر عولمات في فضاءات مختلفة، سيكون هدفها عولمة المركز لحساب مصلحة الأطراف، ويصبح العالم كله قرية كونية واحدة، مع احتفاظ كل فضاء بخصوصيته الثقافية والفكرية.

والله الموفق من وراء القصد ، وهو يهدي إلى سواء السبيل

قائمة المصـــادر والمراجـع

القرآن الكريم.

أولاً: المعاجم والموسوعات:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، مج 12 ، ط6 ، بيروت، دار صادر ، 1997م .

2. إسماعيل صبري عبد الله : " الكوكبة الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية " ، مجلة الطريق ، بيروت ، ع4 ، آب (أغسطس) 1997م.

3. أنطوان ، الدحداح : معجم تصريف الأفعال ، ب ط ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 1991م .

4. أنطوان إلياس : القاموس العصري (عربي – انجليزي) ، ط9 ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، 1954م.

5. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ب ط ، بيروت ، دار الكتار اللبناني ، 1982م .

6. خليل أحمد خليل : معجم المصطلحات الفلسفية ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر اللبناني، 1995م .

7. رجب أبو دبوس : القاموس سياسي ، ط1 ، ليبيا ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1425 ميلادية .برهان غليون وسمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، ط2 ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 2002.

8. فؤاد أفرام البستاني : منجد الطلاب ، ط12 ، بيروت ، دار الشرق ، 1986م .

ثانياً: المصادر والمراجع:

1. بول سوينري : العولمة سيرورة متواصلة ،مجلة الثقافة الجديدة ، دمشق ، العدد 281 ، آذار/مارس 1998م .

2. بيتر تايلور وكولن فيلنت : الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر ، تعريب : عبد السلام رضوان ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية ، ج1 ، العدد 282 ، الكويت ، يونيو 2002م.

3. جراهام طومبسون : تحديد موقع العولمة ، ترجمة بهجت عبد الفتاح ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، اليونسكو ، العدد 160 ، يونيو 1999م .

4. جلال أمين : العولمة والدولة (ندوة العرب والعولمة) ، ط1 ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1998 .

5. جورج حجار : العولمة والثورة ، شعبي سيحكم ، ط1 ، بيروت ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، 2000.

6. حسن حنفي وصادق جلال العظم ، ما العولمة ؟ ط 2 ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 2002م .

7. سعد خلف عبد الوهاب البنداري : العولمة في ميزان الإسلام ، ط1، طنطا ، دار الإسراء للطبع والنشر ، 2004م .

8. سيار الجميل : العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط (مفاهيم عصر قادم) ط2 ، الأردن ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1996م .

9. سيار الجميل : العولمة والمستقبل العربي (استراتيجية تفكير) ، ط1 ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1998م.

10. السيد يسن : الزمن العربي والمستقبل العالمي ، ط1، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، 1998م .

11. عاطف العراقي: الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية، ب ط ، القاهرة ، دار الرشاد ، ب ت.

12. عبد الرزاق محمد الدليمي : الإعلام والعولمة، ط1 ، عمان ، دار الرائد العلمية للنشر ، 2004م .

13. عبد المنعم السيد علي : العولمة من منظور اقتصادي وفرضية الاحتواء ، ط1 ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ،العدد 83 ، السنة 2003م.

14. عبد الهادي أبو طالب : العالم ليس سلعة ، ب ط ، المملكة المغربية ، الرباط ، 2001م.

15. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ب ط ، القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة ، 1955م.

16. عز الدين اللواج : الإعلام العربي وتفاعلات العولمة ، مجلة المؤتمر ، العدد 38 ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، س4، الطير/أبريل 1373و.ر، 2005ف.

17. علي بن هادية وبلحسن البليشي وآخرون ، القاموس الجديد للطلاب ، تقديم : محمد المسعدي ، ب ط ، تونس، الشركة التونسية للتوزيع ، 1988م.

18. عمار جيدل وعبد المجيد الصلاحين وآخرون : العولمة من منظور شرعي ، ط1 ، عمان ، دار الحامد للنشر، 2002م .

19. محسن أحمد الخضيري : مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، ط1 ، القاهرة، مجموعة النيل العربية ، 2000م .

20. محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد الأندلسي: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، تحقيق وتصحيح: مصطفى عبد الجواد عمران، ط3 ، مصر، المكتبة المحمودية التجارية ، 1968م.

21. محمد علي حوات : العرب والعولمة (شجون الحاضر وغموض المستقبل)، ط2 ، القاهرة مكتبة مدبولي، 2004م.

22. مراد محفوظ : العولمة وضرورة التكامل الاقتصادي العربي ، ب ط ، المنظمة العالمية للثقافة والعلوم ، دار الكتب الوطنية ، 1999م.

23. مؤيد عبد الجبار الحديثي : العولمة الإعلامية ، ط1 ، عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، 2002م .

24. يمنى طريف الخوري : فلسفة العلم في القرن العشرين ، (الأصول ، الحصاد ، الآفاق المستقبلية) عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 264 ، ديسمبر/كانون الأول 2000.

ثالثاً : المصادر الأجنبية:

1- elaine pollard (ed) , the oxford paperback dictionary, oxford unive. K sity, London, 1994.

2- Peter Marcuse and Ronald Van Kempen (ed), Globalization Cities: A New Special Order, Black, UK,2000.

3- D.Runes, The Dictionary of Philosophy, edited by Dagobert, philosophical library.